Horizons of Islamic Civilization, Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)
Biannual Journal, Vol. 24, No. 1, Spring and Summer 2021, 39-68
Doi: 10.30465/AFG.2021.6083

Architectural Balance System and Its Laws: The Way to Achieve Balance in Architecture

Somayeh Omidvari*
Zinat Reihani**

Abstract

The soul, as the dignity and wholeness of human existence, considers the goal and purpose of the soul to reach perfection and in examining the course of the perfection of the soul. It considers balance as the essence of the evolution of the soul and the necessity of movement in this perfection. Architecture, as a manifestation of the world of legislation and a truth emanating from the hands of the artist, must have this balance, and therefore balance is defined as the essence of architecture in response to the desires of the human soul. Therefore, in order to analyze the issue of architectural balance, it is necessary to examine the relationship between the spirit of the architect and his art, namely architecture, and this article is based on a descriptive-analytical research method and through an inductive method it is aimed at analyzing this relationship, to discover the laws and systems that affect the balance of the soul, so that it can restore the laws of architectural balance through them. Therefore, the questions of this research are: What are the laws and systems of balance in the human soul? And following those laws and systems, what correlation has the balance of the human soul with the laws of balance? And what are the laws and systems of architectural balance? Equilibrium in man is achieved through battle and confrontation between the forces and forces in the human soul or, in other words, double pairs in the human soul. Therefore, in expressing the laws and systems of self- equilibrium, we can allude to the existence of binary pairs, different ratios between them (interaction,

* Assistant Professor of Architecture, Yazd University of Science and Art, Yazd, Iran, (Corresponding Author), s.omidvari@sau.ac.ir

** Visiting Lecturer, Farhangian University, Shiraz, Iran, reihani.z44@gmail.com

Date received: 14-04-2021, Date of acceptance: 07-06-2021

Copyright © 2010, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article. This work is licensed under the Creative Commons Attribution 4.0 International License. To view a copy of this license, visit http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/ or send a letter to Creative Commons, PO Box 1866, Mountain View, CA 94042, USA.

opposition or contradiction), observing the appropriate limit in these ratios, movement, continuity and evolution. In architecture, due to the human soul, this equilibrium has had different levels. The existence of architectural equilibrium on the one hand and the six rules that have been arranged on each equilibrium show that an architecture in direct correspondence with the powers of human perception can have different equilibriums. Six rules must apply at all levels. In fact, the existence of binary pairs, interactions or confrontations between them, determining the boundary between them and the continuation of movement, continuity and evolution must flow in all these levels in order to achieve equilibrium in these architectural levels under these systems.

Keywords: Self, Architectural Equilibrium System, Equilibrium, Architecture.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
مجلة علميّة نصف سنويّة (مقالة علميّة محكّمة)، السنة ٢٤، العدد ١، الربيع والصيف ١٤٤٢ هـ.ق، ٣٩-٦٨

نظم التوازن المعماري وقوانينه

طريق الوصول إلى التوازن في العمارة

سمية أميدواري*

زينت ريحانى**

الملخص

يمكن تحديد النّفس موجزاً بأنّها تساوي وجود الإنسان بأكمله، وهى التى تسيّره نحو الكمال الذي يدعو إلى التّوازن، وفي الحديث عن كمال الروح يُعتبر التّوازن جوهراً لتطوّرها وأداة لحركتها نحوَ الرّقى والكمال، فلذلك من الضّرورى دراسة مفهوم الروح والتعرّف عليها في مسار التطور والكمال. وهناك علاقة وثيقة بين العمارة والنفسية التي تُلقيها في الرّوح، فتستطيع العمارة أن تمهّد للإنسان أرضية مناسبة للوصول إلى الكمال، كما أنّها تساعده للبلوغ إليه كغاية. بما أنّ العمارة تُعَدّ مظهراً من مظاهر عالم التّشريع وهى حقيقة منبثقة من أيدي المعمار كفنّان، فلذلك يجب أن تكون نفسه متوازنةً حتى يظهر هذا التّوازن في فنّه أيضاً، وبالتالي يتمّ تعريف التّوازن على أنّه أساس العمارة والذي يستجيب لرغبات روح البشر الذي يميل إلى التوازن. هذا المقال يهدف إلى دراسة قوانين التوازن الذاتي وأنظمته

* أستاذة مساعدة في قسم العمارة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة العلم والفن،يزد، إيران (الكاتبة المسئولة)، s.omidvari@sau.ac.ir

** المدرسة المدعوّة بجامعة فرهنگيان، شيراز، إيران، reihani.z44@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٤٠٠/١/٢٥، تاريخ القبول: ١٤٠٠/٣/١٧

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

الفعالة، فيتابع موضوع التوازن في العمارة وعلاقتها بروح الفنّان من خلال المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على الاستقراء هادفاً الوصول إلى فهم قواعد التوازن في العمارة أو التوازن المعماريّ، فيحاول تبيين القوانين التي تؤثر في النّفس حتى يتمكّن على تقديم أشكال المتوازنة في العمارة، فأسئلة البحث هي: ماهي قوانين التوازن في روح الإنسان و ما هي أنظمته؟ ماهي العلاقة بين التوازن في روح الإنسان وقوانين التوازن؟ وماهي قوانين التوازن وأنظمته في العمارة؟ فيصل البحث إلى أنَّ العمارة هي تمثيل من نفسيّة المعمار، فالتوازن في روح الإنسان حصيلة الصراع بين القوى الموجودة في وجوده أي بين الأزواج المتباينة فيه، فإذا كان المعمار يتمتّع من روح متوازنة يتمثّل هذا التوازن في حصيلة عمله أو فنّه، ومن جهة أخري فلابدّ لكلّ عمارة أن تخضع للأصول التوازن السّتة وهي: ثنائية الأزواج، والتزام بالحدود بين الأزواج، ووجود علاقة التفاعل أو التّعارض أو التّناقض بين الثّنائيات، والحركة والاستمراية والاكتمال حتي تسمّى متوازنةً.

الكلمات الرئيسة: التّوازن، العمارة، مراتب التّوازن، النفس.

١. المقدّمة

حدَّد كثير من المفكرين والمحققين نظم عالم الوجود وقوانينه، فيعتبرونه من السنن السارية في العالم ونظام التكوين. وثمة آيات قرآنية كثيرة تؤكد وجود تلك القوانين والنظم في الوجود، والتي لا ينتابها أدنى تغيير أو تحول على مدى الزمان. والحق أن «ما يسمي فى الفلسفة «نظام الكون» و «قانون الأسباب»سمّاه الدين «سنة الله». وقد ذكره القرآن الكريم في آيات منها: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (الأحزاب/٦٢) وقد أكد الله هذه التسمية بصورة مكررة في سورة فاطر: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد الله تحويلا﴾ (فاطر/٤٣) (مطهرى، ١٤٢٧ق: ١٤٠).من ناحية أخرى يبدو كمال الإنسان في عالم التشريع مرهوناً بمواكبة تلك القوانين والسنن الجارية في عالم التكوين. فالتوازن من القوانين السارية في الوجود، لكن التأمل في موضوع التوازن يشير إلى أن التوازن يتشكل في العالم من خلال أزواج الثنائيات وهذه الأزواج الثنائية تبدو في مراتب مختلفة من الصورة إلى المعنى، وتبعاً للنسب المتفاوتة الموجودة بين طرفي

هذه الأزواج فإن هذه الثنائيات تظهر في أنواع مختلفة.فيوجد دائماً في الوجود عضوان بينهما علاقة التقابل حتى يصلا إلى نقطة التوازن وكذلك تستمرّ هذه الحالة حتى بلوغ الهدف أو الوصول إلى نقطة تكاملية، كلّ هذا حالة الأشياء الموجودة بشكل دائم. هذا النسب غالباً ما تكون حالة تضاد، أو تناقض، أو زوجية، حيث يتشكل نتيجة ذلك أنظمة الثنائيات المتضادة والمزدوجة والمتناقضة. كل واحد من الأزواج يرتبط مع الأزواج الأخرى في مستويات متفاوتة.

فيوجد الاعتقاد بهذه الثنائيات وما تتّسم به من ارتباط أو تقابل للوصول إلى التوازن بكثرة في الحضارات التقليدية القديمة أو الأديان القديمة. فمنذلك ما نراه في الديانة الهندسية « الهندوسية، هى أقدم الأديان المعروفة، وأصلها من بلاد فارس، وأساس معتقدها وجود مبدأين للوجود أحدهما مبدأ النوروينبع منه الخير كله، ويسمونه أورمزان، والثانى مبدأ الظلام، وهو مصدر الشر كله، واسمه أهرامان؛ وهما متصارعان فإذا غلب أهرامان كان الشر فى العالم، وإن غلب أورمزان كان الخير» (رائف، ١٩٩٩م: ٧٦). أو في التاوية حيث التفكير القائم على الاعتقاد بوجود عنصرين هما (ين) و(يانغ). وفي الفكر اليوناني يبدو هناك صراع دائم بين آلهة الخير وآلهة الشر، وغالباً ما يعتقد الناس أن تقديم الأضاحي والنذورات يساعد كثيراً في انتصار آلهة الخير على آلهة الشر.وكما أكد الفلاسفة كثيراً أهمية التضاد ودوره في الحركة والتكامل إلى حدّ اعتبروا التضاد بين الموجودات الطبيعية شرطاً لاستمرار الفيض الإلهي، ورأوا أن انعدام وجود التضاد يعني عدم ولادة أية ظاهرة.

هؤلاء المفكرون في بيانهم لتوازن الوجود غالباً يركزون على الثنائيات المتضادة، ففي الفكر اليوناني يمكن الإشارة إلى أرسطو وأفلاطون، وفي الحضارة الإسلامية هناك صدر المتألهين وابن خلدون و.. ولعل أهمية هذا الموضوع جعلت «هيجل» الذي يعد رائد التفكير الهيالكتيكي يتناوله. ولذا فسوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل (مطهرى، ١٤٢٧ق: ٢٠٧). «ينقل الطنطاوى فى تفسير الجواهر عن سقراط أنه يعتبر «أصل التضاد» وسيلة لإثبات الحياة بعد الموت ودليل لها. كتب الطنطاوى: فى الوقت الذي أرادوا فيه إعدام سقراط فإنه في اللحظات الأخيره من عمره ولإثبات أن بعد الموت حياة أخرى استدل قائلاً: «نحن نشاهد دائماً في الكون أن الأضداد تتولد من بعضها البعض، الجمال من القبح، العدالة من الظلم، اليقظة من

النوم، النوم من اليقظة، القوة من الضعف وبالعكس. كل شيء يظهر من ضده فتشمل هذه القاعدة الكلية الموت والحياة، الوجود والعدم، فلابد من وجود حياة أخرى بعد الموت، وإلا لانتقضت القاعده العاملة للطبيعة» (المرجع السابق: ٢٠٧).

من ناحية أخرى فإن التأمل في المفاهيم الإسلامية ومظاهر الجمال في عالم الكون يبين خصائص هذا التوازن. فهكذا نجدهم [الفلاسفة اليونانيين] يقتربون من الفهم الإسلامى «للتوازن» عندما يتحدثون عن ملامح «التوازن» كالحركة، ووجود الأضداد، والسكينة ولكنهم يبتعدون كثيراً عن المسلمين عند حديثهم عن جوهر «التوازن».» (الحوطى، ١٩٩٥: ٥٦) «فالتوازن إذاً معيار ثابت للصحة والجمال فى الماديات والروحانيات وما أتى الخلل الذى نلمسه فى عالم اليوم إلا من عبث حضارة العصر بهذا «التوازن». فإن «أول ما يلفت الحس فى الجمال ... أنه نظام ولكنه ليس ضرورة، ولهذا النظام كما يبدو فى صفحة الكون مظاهر متعددة، منها الدقة، والتناسق. و«التوازن» والترابط، وخفة الحركة، رغم ثقل الأوزان. تلك هي سمات الجمال فى الكون و هى ذاتها سمات الجمال فى هذه الأرض وفى حياة الإنسان».» (المرجع السابق: ٩٠-٩١).

أما توازن النفس فهي رهن النسب المتفاوتة بين الأزواج الكمية للنفس في مسير الوصول إلى الكمال. وأما النفس المتوازنة فتبعاً لقوانين أرسطو حول أنظمة التضاد، وكذلك بحث الحركة الجوهرية لدى صدر المتألهين، فهي نفس يترتب عليها خمس خصائص: الأولى هي وجود الثنائيات الكمية والأخلاقية في مختلف مراتب النفس، والثانية وجود روابط تقابل وتناقض أو تضاد بين هذه الثنائيات، والثالثة هي الحركة نتيجة النسب المختلفة بينها، والرابعة هي الاستمرار من أجل البقاء في مسير التوازن، وأخيراً التكامل من أجل الحركة في المسير التكاملي للنفس. لذا فسوف نقوم بدراسة هذه الخصائص الخمس في علاقتها مع توازن النفس.

١.١ خلفية البحث

والحق هذا الاعتقاد بهذه الثنائيات وما تتسم به من ارتباط أو تقابل للوصول إلى التوازن، موجود بكثرة أيضا بين عقائد الحضارات التقليدية القديمة أو الأديان والمذاهب القديمة. من

ذلك ما نراه في الديانة الهندسية «لهندوسية، هى أقدم الأديان المعروفة، وأصلها من بلاد فارس، وأساس معتقدها وجود إلهين أحدهما نور وهو مبدأ الخير كله، ويسمونه أورمزان، والثانى ظلام، وهو مبدأ الشر كله، واسمه أهرامان؛ وهما متصارعان فإذا غلب أهرامان كان الشر فى العالم، وإن غلب أورمزان كان الخير» (رائف، ١٩٩٩: ٧٦).

أو في التاوية حيث التفكير القائم على الاعتقاد بوجود عنصرين هما «يين» و«يانغ» وفي الفكر اليوناني يبدو هناك صراع دائم بين آلهة الخير وآلهة الشر، وغالباً ما يعتقد الناس أن تقديم الأضاحي والنذورات يساعد كثيراً في انتصار آلهة الخير على آلهة الشر. كما أكد الفلاسفة كثيراً على أهمية التضاد ودوره في الحركة والتكامل، إلى حدّ اعتبروا أن تضاد الموجودات الطبيعية هو شرط لاستمرار الفيض الإلهي، ورأوا أن انعدام وجود التضاد يعني عدم ولادة أية ظاهرة. هؤلاء المفكرون غالباً ما كانوا يركزون على الثنائيات المتضادة في بيانهم لتوازن الوجود ففي الفكراليوناني يمكن الإشارة إلى أرسطو وأفلاطون، وفي الحضارة الإسلامية هناك صدر المتألهين وابن خلدون و.. ولعل أهمية هذا الموضوع جعلت هيجل الذي يعد رائد التفكير الهيالكتيكي يتناوله. ولذا فسوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل(مطهرى، ٢٠٠٦: ٢٠٧). «ينقل الطنطاوى فى تفسير الجواهر عن سقراط أنه يعتبر «أصل التضاد» وسيلة ودليل لإثبات الحياة بعد الموت. كتب الطنطاوى: فى الوقت الذي أرادوا فيه إعدام سقراط فإنه في اللحظات الأخيره من عمره ولإثبات أن بعد الموت حياة أخرى استدل قائلاً: «نحن نشاهد دائماً في الكون أن الأضداد تتولد من بعضها البعض، الجمال من القبح، العدالة من الظلم، اليقظة من النوم، النوم من اليقظة، القوة من الضعف وبالعكس. كل شيء يظهر من ضده؛ الموت والحياة، الوجود والعدم مشمولان أيضاً بهذه القاعدة الكلية، وبهذا الدليل فلابد أن توجد بعد الموت حياة أخرى، وإلا لانتقضت القاعده العاملة للطبيعة».

يقول ابن خلدون في كتابه «المهزلة»: «إن التنازع عنصر أساسي من عناصر الطبيعة البشرية» (السابق: ٢٠٩-٢٠٧). اهتم الفلاسفة المعاصرون بمسألة التضاد أكثر من أي وقت آخر، إلى درجة أنهم اعتبروا التضاد يشكل العامل الأصلي والأساسي في الحركة والتكامل، وعدّوا التكامل جزءاً من تصالح الأضداد بل المتناقضات، وأنه ليس نتيجة العبور

من ضد إلى ضد آخر. وقد أنكر بعض الفلاسفة الجدد أصل امتناع اجتماع نقيضين الذي كان يعد أهم أسس الفكر عند القدماء وكان يسمى «أم القضايا» وسعى هؤلاء الفلاسفة إلى إزالة المسافة بين الوجود والعدم والتي تعد المسافة الأبعد ويعبرعنها بانعدام النهاية (مطهرى، ١٩٩٣: ٦).

إن الفلاسفة المعاصرون قد اهتموا كثيرا بموضوع التضاد ودوره في التكامل والحركة بحيث رأوا أن هذا التضاد بين الكائنات والموجودات الطبيعية هو شرط لاستمرار الفيض الإلهي، واعتبروا أن فقدانه يعني فقدان ولادة الظواهر. كما اعتبروا أن التكامل هو جزء لا يتجزأ من تصالح الأضداد والمتناقضات ولم يروا أنه نتيجة لعبور ضد إلى ضد آخر. وقد أنكر بعض الفلاسفة المعاصرين أصل موضوع امتناع اجتماع النقيضين، وقد كان هذا الأصل من أهم مبادئ الفكر عند الفلاسفة والمفكرين القدماء بل كانوا يعتبرونه أم القضايا، وحاول بعض الفلاسفة شطب المسافة بين العدم والوجود والتي تعد المسافة الأبعد ويعبر عنها بانعدام النهاية.

فى المنطق الديالكتيكى أوليت مسأله التضاد اهمية فائقة واعتبرت اساساً للنظرة الكونية الديالكتيكية. «ولهيجل الفيلسوف الألماني الشهير وجهة نظر خاصة فى الأضداد تعرف ب– «ديالكتيک هيجل» اهتم بها المتفلسفون بصورة مفرطة. يقول هيجل: «كل حالة من الفكر أو أي شيء من الأشياء وكل تصور ووضع فى العالم فإنه ينجذب بشدة نحو ضده، وبعد ذلک يتحد معه ليكون كلاً أفضل وأكبرتعقيداً. فكل وضع إذن وكل أثر يستلزم نقيضاً وضداً، والتطور يجبر هذين معاً على الصلح ثم يبدله بوحدة تجمعهما» (السابق: ٦).

أما البحوث التي ألفت فلا يمكن اعتبارها بحوث كاملة من عدة وجوه، أولا أنها اكتفت في مناقشتها لموضوع التوازن بالصورة والمظهر الخارجي، وقلما تطرقت إلى معاني التوازن، ثانيا هؤلاء الكتاب قلما تناولوا القوانين والأنظمة التي تكوّن التعادل وتساهم في تشكيله.

٢.١ أسئلة البحث

أما أهم الأسئلة التي يمكن طرحها في هذا السياق فهي:

بأية وسيلة يتمّ خلق التوازن في العمارة؟

وما هي القوانين والنُظُم اللازمة لإيجاد التوازن في العمارة؟

وما هي الخصائص الداخلية التي ينبغي للعمارة المتوازنة أن تمتلكها؟

٢. أصول توازن النفس في مسار تكامل (وجود الثنائيات (Binaries)، التعامل (Interaction)، الحد (Limit law)، الحركة (Motion)، التداوم (Continuity)، التكامل (Evolution))

النفس الإنسانية في حركة دائمة بين الثنائيات الأخلاقية المتناظرة، وفي بيان ثنائيات النفس تتم الإشارة إلى أربع فضائل أخلاقية وهي: العدالة والشجاعة والعفة والحكمة؛ وتتقابل كلٌّ واحدة من هذه الفضائل رذيلة، حيث تتشكل في النهاية الأزواج المتضادة، فهي بمثابة الصفات الأصلية، أما سائر الفضائل أو الرزائل فتنبع منها.

١.٢ وجود الثنائيات

هناك قوى متضادة في وجود الإنسان أو صراع بين القوى الروحانية والقوى الشيطانية حيث تستطيع النفس بلوغ مرحلة التوازن وقطع مسار تكاملها وذلك إثر انتصار القوى الروحانية. وبالتأمل في النفس وقوى الإنسان الوجودية نجد أن النفس بسبب تناظرها مع عالم الوجود وكونها نسخة مصغّرة عنه، فإنها تمتلك أنظمة وقوانين في داخلها تعد نوعاً من القوانين والأنظمة السارية في كل الوجود، وتستطيع النفس الإنسانية بلوغ حالة تعادلها عبر الاستفادة من هذه القوانين.

أشرنا في الأقسام السابقة إلى حاجة النفس إلى التوازن في حركتها نحو الكمال، ورأينا أن الإنسان مركّب من الجسد والنفس، والحق أن توازن وجود الإنسان يتأتى من الارتباطات والتقابلات أو النزاعات بين القوى الداخلية المختلفة للإنسان، وهذه القوى الداخلية غالباً ما تكون على شكل ثنائيات أو أزواج، حيث تبلغ النفس توازنها من خلال ارتباط تلك الثنائيات أو تضادها.

إن التأمل الذهني في تلك الثنائيات والأزواج يشير إلى مدى التفاوت الكبير الذي يميز بعضها عن بعض، وهذه الأنظمة الثنائية كثيرة في النفس فمن الثنائية التي تشير إلى جنسي الرجل والمرأة إلى الثنائية التي تشير إلى بعدي المادي والمعنوي في وجود الإنسان، إلى غير ذلك من الثنائيات الموجودة في داخل النفس ترتبط بالقوى الداخلية للإنسان والمقصود بها القوى الروحانية والشيطانية في وجود الإنسان، أو الثنائيات التي تتجلى في صفات الإنسان وغير ذلك.

في هذا المجال سنتناول أنواع هذه الثنائيات المتفاوتة من ناحية نوع ارتباطها والنسبة بينها ومراتبها، ومن ناحية إيصال الإنسان إلى التوازن، جسمانياً كان أم روحانياً.

٢.٢ النسب المختلفة للتعامل (Interaction)، التناقض (Contrast)، والتضاد (Contradiction)

– الأنظمة الثنائية (Binaries system) (نظام الأزواج المزدوجة (Coupled Binaries)، نظام التضاد المتقابل أو المتضاد (Contradictory)، النظام المتناقض (Contrast))

في بيان النسب بين الثنائيات الأخلاقية تم الإشارة إلى ثلاثة أنواع من هذه الثنائيات. وغالباً ما تكون الثنائيات الأخلاقية في حالة تضاد، حيث تتشكل في مراتب أعلى لكل واحدة من صفات الفضيلة الأخلاقية نتيجة التزاوج مع بقية صفات الفضيلة، وتؤدي إلى خلق صفات ومعنويات في مستويات أعلى.

١.٢.٢ الثنائيات الزوجية في توازن النفس

من بين الثنائيات المختلفة ثمة أنواع زوجية تؤدي إلى ارتباط زوجيها وتجانسها معاً إلى إيصال النفس لحالة من التوازن، والحق أن هذا النوع من الأزواج يصبح موضوعياً نتيجة الزواج أو النكاح أو الاجتماع بينهما وارتباط قواهما.

أول ثنائية يمكن الإشارة إليها هو الثنائية المتركبة من الوجه الجسماني والروحاني لوجود الإنسان[١]،«فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة، فهو كيان مادي وقوة معنوية، هو قبضة من طين ونفخة من روح الله، و.. .»(زريق، ١٤٠٨ق: ١٠). لذا فعندما تستبدل رابطة هذين

الزوجين من حالة الارتباط إلى حالة التقابل والتضاد فإن النفس الإنسانية ستسلك حينئذ مسار سقوطها. والنوع الآخر من هذه الثنائيات في النفس هو ثنائية الرجل والمرأة، وقد أشار القرآن الكريم مراراً إلى وجود هذا النوع من الأزواج وحالة الزواج والنكاح بينهما وولادة مخلوق ثالث:﴿من كل شيء خلقنا زوجين﴾(الذاريات/٤٩) و﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ (الروم/٢١). لذا ففي هذا النوع من الثنائيات لن يتوقف الزواج والارتباط بوقوع هذه الرابطة وولادة مخلوق ثالث، بل سيشكل المواليد الجدد ثنائيات جديدة، وهكذا تستمر العجلة على هذا المنوال.

٢.٢.٢ الثنائيات المتناقضة في توازن النفس

وهناك نوع آخر من الثنائيات تحيي في تنافر أو تناقض، فوجود جانب منها يتعلق بانعدام الآخر في النفس البشرية. من أمثلة هذه الثنائيات الوجود والعدم، أو الحياة والموت، وغيرها مما نراه في النفس على نحو واضح، وطرفا هذه الثنائيات لا يرتبطان معاً على الإطلاق، وهما ليسا متضادين بل إن وجود أحدهما يساوي عدم وجود الآخر، ولذا فإن هذه الدائرة ستستمر على هذا النحو في نفس الإنسان. لكن هذه الصفة تتجلى في مراتب مختلفة في النفس وفي كل عالم التكوين. ولكن ذلك لا يعني بأي حال أنه يجمع المتناقضات في نفسه، فلكل صفة حالات تنطبق عليها، ولا تنطبق علي غيرها، توجد في وقت ولا توجد في وقت آخر، تخص شيئاً معينا ولا تخص غيره، فالله سبحانه وتعالي تنزه عن التناقض» (زريق، ١٤٠٨ق: ١١٩).

٣.٢.٢ الثنائيات المتضادة في توازن النفس

التأمل في مختلف وجوه النفس يشير إلى أن معظم الثنائيات النفسانية تنتمي إلى نوع يبدو في المظاهر المتفاوتة والمراتب المختلفة للتعادل الجسماني والتعادل الروحاني، وقد أشار فيثاغورس إلى أن الثنائيات الموجودة في النفس وتؤدي إلى خلق التعادل الجسماني هي عبارة عن أربعة طبائع موجودة في الإنسان، يقول:وفي دائرة النفس والتوازن الروحاني بين قوى النفس ثمة إشارة إلى وجود أربع قوى في النفس، فقوتي النفس الأمارة والنفس المطمئنة عبارة عن زوجين متضادين وهما في صراع دائم، والعبور من الحدّ أو الجانب يحدّد غلبة كل واحد من هذه

القوى، وهناك فريق آخر يرى أن النفس المطمئنة أو الفطرة تقع في حد التوازن، وأن قوى النفس الأمارة تجذب الإنسان من كل جانب كي تخرجه من هذا التوازن، والخروج من هذا الحد يعني انعدام التوازن الذي يؤدي إلى الانحراف عن المسير الأصلي.

جدير بالذكر أن هناك فريقاً أشار في بيانه للثنائيات النفسانية المتضادة إلى صفات متجاورة من الخير والشر، وهي في تضاد مستمر بعضها مع بعض كصفات الطهارة والنجاسة، والأمانة والخيانة، والعفو والحساسية ولذا فإنهم خلال تبيينهم الصفات الأصلية للنفس وضعوها في مقابل الرذائل، فمما لا شك فيه فإن مقابل كل صفة حسنة يكون خلق سيء يناقضها.

الأول: الجهل ضده الحكمة.

الثاني: الجبن وضده الشجاعة.

الثالث: الطمع ضده العفة.

الرابع: الجور وضده العدالة.

الشكل ١. انواع الثنائيات النفس (المصدر: الباحثين)

لكن نظام التوازن في نفس الإنسان غير محدود بهذه الصفات، فالنفس الإنسانية متعددة الأطوار ومتفاوتة دائماً في أثناء صراع هذه القوى والصفات الأخلاقية. إذاً يمكن القول إن

توازن النفس هو نتيجة للتوازن أو التقابل أو التضاد بين أنظمة الثنائيات المزدوجة في العالم، أما السؤال الذي يُطرح هنا هو كيف يمكن الوصول إلى نقطة التوازن بين هذه الثنائيات؟ أو كيف يمكن تحديد هذه النقطة وسط الثنائيات المتضادة ؟

٣.٢ الحدود في الأنظمة الثنائية للنفس

الشيء الذي أشير إليه في مقولة النفس هو في الواقع عبارة عن النفس الإنسانية التي تمتلك مزدوجات ثنائية، والتي يؤدي تقابلها أو ارتباطها إلى إيصال النفس إلى مرحلة التوازن ومع أن نوع الارتباط بين هذه الثنائيات متفاوت لكن الأمر المشترك بينها هو هدفها في الوصول إلى نقطة التعادل رغم وجود تفاوت نسبي في هذا الأمر. من أهم المقولات في إيجاد توازن في النفس هو مقولة الحد أو الحدود. وردت كلمة حدود فى القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة (١٣نساء ،١٤ نساء، ١٨٧ بقره، ٢٢٩ بقره، ٢٣٠ بقره، ٩٧ توبه، ١١٢ توبه و..). وردت فى خلالها بمعنى التشريعات التي شرعها الله للعباد من الحلال والحرام، وسميت حدوداً لانّها فصّلت وميزت بين ما يجوز وما لايجوز، وما يحل وما يحرم، ومن هذه الحدود معاص لا تقرب كالفواحش قال تعالى: ﴿تلک حدود الله فلا تقربوها﴾ (البقرة: ١٨٧) (الذهبى، ١٤٠٨ق: ١٢).

رعاية هذه الحدود في ارتباطها بالنفس ضروري إلى حدّ ما، وقد أكّد الله سبحانه على ضرورة احترامها الكبير وعدم تجاوزها، وبين أن رعايتها أمر ضروري للنفس في حالتيها الفردية والاجتماعية، ولذلك فقد وصف سبحانه المسلمين بحفظة الحدود. والحق أنه تم توصيف وضعهم في البداية على نحو انفرادي ومن ثم وضّح أوضاعهم في المجتمع، حيث يقودون مجتمعهم نحو الخير، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله، أي إنهم أنفسهم لا يتعّدون حدود الله، وكذلك يصونونها ويراقبونها، ولذا فهم لا يتجاوزون الحدود لا في الحالة الفردية ولا الجماعية، ولا في الخلوة ولا في العلن. « إنّ الحدود فى المجتمع الإسلام إنّما هى أسوارٌ منيعةٌ لحماية حرمات ومقدسات تستقز على قاعدة راسخة من ضمان كامل لحقوق الحياة المادية والروحية للإنسان، بحيث يصبح انتهاكه لهذه الحرمات جريمة لايبررها

ضياع روحی فی غیبة تربیة صالحة، ولا یخفف من بشاعتها ضیاع مادي في مجتمع أناني أثر» (السابق:١٦-٥٨).

٤.٢ الحركة

یری صدر المتألهین أن الحرکة هي الشرط اللازم لرقيّ النفس ووصولها إلی مراتب أعلی، لکنه غالباً ما یستخدم تعبیر «الحرکة مقابل کلمة السکون». ویری الفلاسفة الیونانیون أن السکون یقع في نهایة حرکة العالم وتکامله، بینما نجد أن هذا التعبیر لدی المفکرین المسلمین یعني الخمود ویعني الفساد وغیره. والسکون یناقض تکوین العالم وتکامله وأهدافه وهذا ما جعل أحد الکتّاب یقول حول ذلک: «وقد ساقت الباحثة بصبر وتأني أقوال الأقدمین مبتدئة بمدارس أفلاطون وأرسطو حول مسألة (التوازن) وبینت اختلافهم عن المبادئ التی أوضحتها فی الآداب الإسلامیة المبنیة علی القرآن الکریم والسنة النبویة الشریفة، إذ إن التوازن عند الإغریق ینتهی إلی السکون فهو الموت، وعند المسلمین ینتهی إلی معایشه للموقف، أی إلی حیاة متجددة، وشتان بین الأمرین»(محمد الحوطی، ١٤١٥ق: ٨).

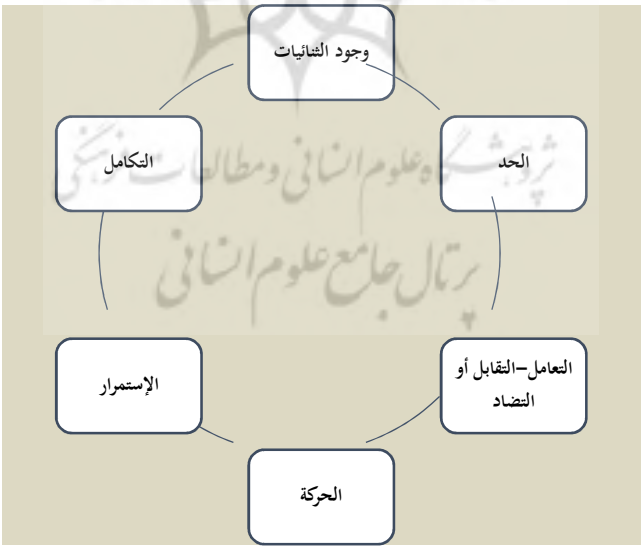

الشكل ٢. أصول توازن النفس في نظام الأضداد(المصدر: الباحثين)

٥.٢ الدوام والاستمرار

عالم الوجود مملوء بالقطع والوصل والانقطاعات والروابط، وهي كلها ضرورية لدوران العالم وحركته، وإلاّ فالعالم سيغرق في سكون وثبات وعدم تغير. «كلام صدر المتألهين فى الجزء الثاني من الأسفار عن كيفية وجود الاقتضاءين فى المواد والصور، وهذان الاقتضاءان المتضادان يوجبان تغير اللوحه باستمرار، وهنا ننقل منه كلاماً آخر. يقول صدر المتألهين: لولا التضاد ما صح دوام الفيض عن المبدأ الجواد» (مطهرى، ١٤٢٧ق: ٢٠٦). وفي حوزة النفس أكد الإسلام كثيراً على مقولة الديمومة والاستمرار في إنجاز الأعمال الحسنة والفضائل. «لمداومة على العمل وإن قل: وتأكيد لإقامة الاعتدال فى التدين، والتوازن بين المصالح، وتقديراً للواقع الإنساني والضعف البشري، وحرصا على متابعة التدين، والاستمرار فية، والسير على منهج الله تعالى، والتزاما بالتكاليف والعبادات والاحكام والالتزامات بشرط المداومة عليها، والمواظبة على أدائها، والاستمرار فى تنفيذها.» (الزحيلى، ١٩٩٠م: ٣٢٨). فليس السائر من يمضي سريعاً تارة وبطيئاً تارة أخرى إنما السائل الذي يسير الهوينة لكن باستمرار.

٦.٢ التكامل

أما غاية هدف النفس فهو الوصول إلى الكمال، واجتهاد النفس في الوجود يتمثل في الحركة بشكل صعودي والعودة إلى مقام القرب الإلهي. فالنفس يمكن أن تتحرك في مسير هذا الكمال حينما تتمكن من ضبط القوى المتضادة في وجود ذاتها. ولذا تستطيع بلوغ التوازن في كل مرتبة. أما عجلة حركة نفس الإنسان فهي على صورة عجلة «توازن – أزمة – توازن». ولذا فحركة النفس نحو الكمال تستلزم عبور أزمات تيسّر إمكان وصولها إلى مراتب أعلى. فالبقاء الدائم للإنسان في وضعية متوازنة لا يعتبر حالة إيجابية للنفس، وذلك لأنّ التكامل يفترض الحركة في هذا المسير وعبور الأزمة، ولذا كلّما اقتربت نفس الإنسان من مرتبة كمالها، استطاع هذا الإنسان الوصول إلى أعلى مراتب التوازن.

٣. اصول توازن العمارة وتناظرها مع النفس

لا شك في أن سريان قانون التوازن في الوجود يوجب سريان أصول ونظم هذا التوازن في جميع مظاهر عالم التكوين. هذه النظم يمكن أن تتأتّى من التعمق في التوازن الموجود في الكون والوجود إلى التوازن الموجود في نفس الإنسان. فالتأمل في كلّ مظهر من مظاهر التوازن في عالم التكوين يمكن أن يقودنا إلى نتائج مشتركة، لكن اعتبار العمارة بمثابة الوعاء لحياة الإنسان فإن التناظر بين العمارة وبين مظهر من عالم التكوين، هو تناظر أكثر مباشرة ولمساً. لذا فإنّ رغبة هذه المقالة بالوصول إلى قوانين نظام التوازن المعماري ليس إلا رغبة بالعودة إلى نظام توازن النفس.

١.٣ وجود أزواج الثنائيات

قيل إن عالم التكوين قد بُني على أساس النسب المتفاوتة بين نظم الثنائيات. ولا شك في أن العمارة الإسلامية بصفتها مظهراً لتجلي التوازن فإنها تتمتع بقوانين الثنائيات ونظمها. وللأزواج أو المزدوجات أنواع مختلفة في نظام النفس والوجود، وتكتسب معنى في مراتب متفاوتة. وفي عالم العمارة تبدو هذه المزدوجات في سطوح ومراتب متفاوتة بحسب المراتب التي يدركها الإنسان والمعمار عن العالم. في بيان المزدوجات المعمارية يمكن الإشارة إلى المراتب المختلفة لهذه المزدوجات وكيفية تمازجها وتجانسها بهدف الوصول إلى المزدوجات الكيفية والمعنوية.

١.١.٣ مراتب الثنائيات المعمارية

الثنائيات الكمية

الأسس الأولية للأزواج (للثنائيات) الكمية هي تلك الكميات العددية كالمقياس والأبعاد. فمثلاً إن الصغير والكبير، والطويل والقصير، والمفتوح والمغلق، والمظلم والمضيء، هي عبارة عن مزدوجات كمية وهي تشكل المزدوجات الكيفية التي تنبع العمارة من أعماقها. والحق أنه يمكن الوصول إلى اختيار أو تحديد الحد الصحيح للمزدوجات التي تتموضع إلى جوار باقي المزدوجات من أجل خلق كيفية أو معنى خاص. مثلاً إن ساحة يمكن أن تتغير من أبعاد ٢ × ٢ أو ٣ × ٣ إلى ٢٠ × ٢٠ أو ٣٠×٣٠. لذا فإنه تبعا لتعريفنا عن الفضاء والنوع سيكون توقعنا عن كيفيته أنها متغيرة الأبعاد.

الثنائيات الكيفية

خلقُ الأزواج (الثنائيات) الكيفية وإدراكها نتيجة اقتران الأزواج الكمية وتركيبها. وفي خلق الأزواج الكيفية تتدخل أزواج أخرى منها أزواج الطبيعة (الليل والنهار) وأزواج النفس. وبسبب اقتران هذه المزدوجات تحصل أزواج كيفية في العمارة منها المنقبض والمنبسط والهادئ والمضطرب وغير ذلك ولعل فضاءً واحداً يمكن أن يمتلك مزدوجات كيفية متفاوتة بحسب مخاطبيه، ولذا فإن إدراكات مختلفة تحصل فيها.

الثنائيات المعنوية

الأزواج (الثنائيات) المعنوية هي تلك الأزواج المعمارية التي يتوقف خلقها وإيجادها في العمارة على تملُّك النفس الإنسانية لهذه القوى الإدراكية في باطنها. فالنفس التي تدرك مراتب الوجود من خلال قواها الإدراية للكشف والشهود، فإنها تستطيع أن تبرز في عمارتها علائم من تلك المراتب.

والتوازن في العمارة يشتمل على مراتب مختلفة، فهذه المزدوجات في العمارة تقع في مرتبة الستر، لذلك فإن التجليات المتفاوتة التي تظهر في ذهن المخاطب عن هذه التجليات هو أمر يرتبط بأية صورة يرسمها المخاطب وقواه الإدراكية عنها ويوصلها إلى مرتبة الانكشاف. وفي بيان هذه المزدوجات المخفية والواضحة في العمارة أو المزدوجات المستورة والمكشوفة، يمكن الإشارة إلى السكوت والبيان أو الستر والتجلي، والتدرج والوصول والثبات والتغيير.

هذه المجموعة من المزدوجات يمكن أن تقع في دائرة الرموز المعمارية، ولذا فبمقدار اقتراب النفس من توازنها يمكن كشف هذه المزدوجات وإدراكها أو الرموز المعمارية. ومن الممكن إطلاق تسمية «المزدوجات الصامتة» على هذا النوع من الأزواج.

٢.١.٣ الأزواج المشاركة (المتدخّلة) في خلق الأزواج الكيفية للعمارة

أزواج الطبيعة (الوجود)

بما أن العمارة تولد في قلب الطبيعة، فلذلك أزواج طبيعية أخرى مؤثرة جداً في خلق الأزواج المعمارية، فمثلاً: الليل والنهار، والشتاء والصيف. والطلوع والغروب، والغائم

والمشمس، والبحر والصحراء، والجفاف والرطوبة، هي في الواقع قابلة للحركة والتغيير في نظام الأزواج المعمارية أو الكمية.

أزواج النفس

يرتبط قسم من أزواج النفس بمرتبة نفس الإنسان، ولذا فهو مربوط بالفضائل والرذائل الأخلاقية للنفس كالخير والشر، والقبح والجمال، والعقل والجهل و... أما القسم الآخر من أزواج النفس فيرتبط بعواطف الأشخاص وأحاسيسهم في الظروف الروحية والجسمية المختلفة، ولذا فهي غير مرتبطة بالفضائل أو الرذائل الأخلاقية، وحدّها في نوسان وتحرّك بحسب الشروط، كالتعب والإعياء والسعادة والسكينة والعصبية والسكون والحركة، فهي دخيلة في خلق الأزواج الكيفية للعمارة في كلا الوجهين من هذه المزدوجات.

تناظر الأزواج المختلفة في خطوات خلق الأزواج الكيفية

تبعاً لتوصيف أنواع الأزواج المؤثرة في خلق الأزواج المعمارية يمكن الإشارة إلى عدّة مقولات في اقتران هذه الأزواج وخلق أزواج جديدة. خلق أزواج كيفية في العمارة يتم غالباً من خلال تدخل الإنسان أو النفس الإنسانية. فيمكن الوصول إلى المرحلة خلق الكيفيات المناسبة المتوازنة في العمارة حينما تستفيد النفس الإنسانية من هذا التوازن بوصفها خالقاً ومركباً للأزواج الكمية، أو أن تعرف نفس الإنسان حدودها في نظام الأزواج. إذاً يمكن القول إن أزواج النفس تسيطر على الأزواج الكمية حيث تستطيع خلق الأزواج الكيفية. ولعل أوضح القوى الإدراكية للنفس وأكثرها سطوعاً هي القوى الخمس، أما بقية القوى الإدراكية في وجود الإنسان فهي العقل (العقل المعاش والعقل المعاد) والقلب (الكشف والشهود والإدراك). وبمقدار معرفة النفس الإنسانية لهذه القوى ومدى الاستفادة منها، يمكن أن تخلق الأزواج المعمارية الكيفية في الاستجابة لهذه الميول والرغبات. أما في خلق مختلف مراتب الأزواج فيوجد ملاحظتان في الارتباط مع النفس: الأولى أن النفس تشرف على مختلف مراتب إدراكها، والثانية أن النفس في وجودها في كل مرتبة من المراتب، تعرف حدودها وقدرها، وتستطيع الوصول إلى مقام التوازن في كل مرتبة.

في مكان معماري قد يتموضع عدة أزواج فوق بعضها البعض كي تخلق ذلك الفراغ، ولذا يستطيع كل شخص أن يدرك مرتبة من تلك الأزواج بحسب ميزان إدراكه وإمكانياته. ثمة معادلة بسيطة حول الأزواج المعمارية يمكن بيانها على النحو الآتي:

(الأزواج المعنوية + أزواج النفس + أزواج الطبيعة + الأزواج الكمية) ← الأزواج المعمارية (الأزواج الكيفية)

في هذه الحال يبدو أن الجوهر الأصلي في خلق الأزواج الكيفية هو الأزواج المعنوية أما باقي الأزواج، بصفتها أزواج الأدوات (الأزواج الكمية) أو الأزواج المتدخلة (الأزواج الطبيعية والأزواج النفسية) فتعمل على تهيئة الإدراكات المختلفة للمخاطب بحسب مكان وزمان ظهورها. التدرج (الاستدراج) والوصول يكون في المزدوجة المعنوية حيث يستطيع أن يظهر ويبرز في كل مظهر من مظاهر عالم الوجود. فمثلاً في قطعة موسيقية ولوحة رسم أو في عمارة يبدو أن الوصول إلى كل مرتبة في العالم يتطلب العبور من مراتب معينة نسميها سلسلة المراتب. فتتجلّى هذه المراتب التسلسلية في العمارة ضمن التناظر مع هذا الأصل، والعبور من كل فراغ والوصول إلى فراغ آخر فهذا هو الذي يخلق معنى سلسلة المراتب. وفي التخطيط لكل فراغ ينبغي مراعاة المراتب المختلفة من الكل إلى الجزء.

٢.٣ الروابط المتقابلة

في بيان الأزواج الثلاثة (المزدوجة، والمتضادة، والمتناقضة)، يمكن الإشارة إلى نوع التعاملات ومراتبها في العمارة.

١.٢.٣ الأزواج المزدوجة – التعامل

– في هذا النوع من المزدوجات يشكل التعامل أساس تكوين الروابط والتعامل بين الأزواج.

– يستمر التعامل نتيجة الزواج أو الارتباط بين الأزواج حتى الوصول إلى التوازن بل إلى ما بعد ذلك.

– هذا التعامل والزواج بين المزدوجات يترافق أحياناً مع ولادة مخلوق ثالث.

– إن النكاح لا يتلازم دائماً مع ولادة مخلوق ثالث، بل إن الاقتران والتوحّد بينها هو نفسه ناجم عن النكاح.

– أساس هذا التوازن هو الحركة من الكثرة نحو الوحدة، لذا فإنّ ارتباط الزوجين ينجم عنه مولود ثالث، والذي يشكل في ارتباطه مع عضو أو مولود آخر إلى ظهور زوج جديد.

– هذا النكاح والزواج بين الأزواج يتمّ من مرتبة المادة والصورة إلى مراتب أعلى بين الأسماء والصفات الإلهية.

– من أهم الأزواج الموجودة في الوجود وفي العمارة أزواج الصورة والمعنى أو الظاهر والباطن.

– ليس ضرورياً أن يكون طرفي هذه الأزواج من جنس واحد، فمثلاً في العمارة يولد زوج نتيجة التعامل بين نفس الإنسان والكيفية الفراغية الخاصة.

وهذا القانون يجري أيضاً في تجاور قطعتي خشب أو آجر في العمارة.

٢.٢.٣ الأزواج المتضادة – التضاد

– في هذه الأزواج ليس ضرورياً أن يكون رأسا الطيف بمثابة النقاط الإيجابية، بل يمكن أن تستقر كل نقطة من هذا الطيف في وضعية إيجابية على نحو نسبي على أساس شكل الكيفية التي تريد خلقها.

– غالباً ما تكون الأزواج الكمية من جنس الأزواج المتضادة، ولذا فإن انتخاب نقطة ما في مسير هذا الطيف ذو معنى.

– بما أن النسبة بين الأزواج هي من نوع التقابل، فالحدود تكتسب أهمية في هذه الأزواج.

– في مرحلة تبديل المادة إلى الصورة، تتدخل الكميات العددية في شكل الأزواج المتضادة في إعطاء الشكل للصورة، وفي المرتبة التالية يتم التزاوج بينها نتيجة اقتران الصور وتجاورها. هذا الزواج يمكن أن يحدث في المرحلة اللاحقة بين الإنسان والفراغ بوصفهما زوجين، وهكذا تستمر الحياة على هذا النحو.

– إيجاد النسب المنسجمة مع الفراغ تتم من خلال رعاية حدود المقاييس في الأزواج المتضادة.

٣.٢.٣ الأزواج المتناقضة – المتقابلة

– هذه الأزواج تعيش معاً في تناقض، ولا يمكن أن يجتمعا معاً في زمان واحد، أو يمكن تصوّرهما وجهاً لوجه في جانبين، بل إن وجود أحدهما يتسق وغياب الآخر.

– في نظام عالم التكوين يكثر هذا النوع من الأزواج، وغالباً ما تأتي في أثناء خلق الفضاء لمساعدة الأزواج الكمية كي تتمكن من خلق الأزواج الكيفية.

– الحركة في نظام العالم تكون بوسيلة وجود هذه الأزواج المتناقضة ونفي بعضها البعض ودورانها في فلك واحد.

– الرابطة بين هذه الأزواج في هذا النظام تكون على أساس التوالي أو التغيير أو الاستبدال.

– أزواج الطبيعة بصفتها أزواجاً متداخلة في خلق الفراغ المعماري غالباً ما تتكون من هذا النوع من الأزواج، مثلاً كيفية الساحة أو الفناء في البيت متفاوتة كلياً وسط هذين الزوجين المتناقضين.

– في هذا النوع من الأزواج لايمكن الخروج عن اختيار هاتين الحالتين المتناقضتين، وانتخاب نقطة ثالثة، بينما في الأزواج المتضادة للنقاط الأخرى فالحد المتوسط بين هذه الأزواج، قابل للاختيار.

أما أسلوب النشأة والنمو وتجلّي الصورة المعمارية فيكون على أساس النسب المتفاوتة بين أزواج الثنائيات في المراتب المختلفة. لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هنا هو ما المعيار المعتمد في تعيين الحد وميزان الارتباطات أو التناقضات بين الأزواج؟ وما الشيء الذي يعين حدود كل زوج؟

٣.٣ الحد والقدر

يتشكل توازن الوجود تحت نظام الأزواج الموجودة في عالم التكوين، لكن للوصول إلى التوازن في عالم الوجود لا يكفي وجود الأزواج، بل الأهم هو الرابطة بين هذه الأزواج ورعاية الحدود

في هذه الرابطة. وقد وضع الله سبحانه التقدير المناسب للوجود على أساس نظام الحدود. التقدير مأخوذ من جذر «قدر» بمعنى التحديد بمقدار، ولعل هذه المعرفة بالمقادير وقياس الفراغ تتم حينما تراعى حدود الفراغات في أثناء التخطيط، لذا فمعرفة الأزواج ورعاية حدودها في النظام المعماري يؤدي إلى تعيين تقدير الفراغ ومعرفة منزلته ومكانته.

إن التوازن والأزواج تتضمن مراتب مختلفة من المعنى حتى الصورة، وكذلك هو شأن الحدود فهي أيضاً تتجلى في مراتب مختلفة، بعبارة أخرى ثمة مرتبتان للحدود وهي الحد الأعلى والحد الأدنى، وبين هاتين المرتبتين تم طرح ثلاث مراتب وهي الحد الأكبر والحد المتوسط والحد الأصغر. وتقع نظم العالم وفقاً لأهميتها في كل مرتبة من هذه المراتب، أو يمكن وضع كل نظام عالم التكوين في مرتبة الحد الأعلى والثابت، واعتبار نظام عالم التشريع متغيراً من الحد الأدنى إلى الحد الأعلى. في المجال المعماري كلما اقتربنا من مرتبة الحد الأعلى وتمكنا من رعاية النسب والقدر الموزون للفضاء، ولدت الهندسة في العمارة.الهندسة أحد العوامل المهمة والمشكّلة والموحّدة في العمارة.

تجلّي الحد في المرتبة الكمية والكيفية

يوجد مرتبتان للحدود في العمارة هما الحدود الكمية والحدود الكيفية. ومراعاة الحد في المرتبة الكمية يعني تعيين قياس الفضاءات ومقدارها، ومراعاة الحد في المرتبة الكيفية يعني معرفة الحدود الكمية والتناظر والارتباط المناسب فيما بينها. والحدود الكيفية قابلة للإدراك وقياسها أمر غير إلزامي، فالأمر القابل للقياس هو الحدود الكمية.يقتصر تأثير الحد في المراتب الكمية على تعيين مقدار الفضاءات من ناحية فعلها المؤثر، أما الحدّ في المرتبة الكيفية فعلاوة على تعيين قياس الفضاءات من الناحية الوظيفية والفعلية، كذلك له تأثير في قياس الفضاءات ومنحها الكيفية أيضاً إذا امتلكت نفس المعمار توازناً ومعرفة كاملة تجاه الإنسان ومكانته في الوجود فإنها تستطيع أن تحدّد نسب وحدود الأزواج الكمية وكذلك خلق الفضاء المتوازن.خلق الفضاء المتوازن يخرج الكثير من الأزمنة من نطاق استطاعة أحكام العمارة تماماً كخلق جرّة من قبل أستاذ وتلميذ، فرغم أن الأستاذ قد لقّن التلميذ جميع الأصول، أما خلقه للجرّة سيكون مختلفاً عن تلميذه.

٤.٣ الحركة

لا شك في أن الحركة في نظام متوازن تحصل نتيجة وجود أزواج ثنائية ووجود ارتباط أو تقابل فيما بينها، لذا فالحركة في هذه الخطوة لن تكون بمثابة الهدف بل ستكون قسماً من محصول ونتيجة هذه الخطوة «فتجدهم يقتربون من المفهوم الإسلامي «للتوازن» عندما يتحدثون عن الأضداد، ووجوب الحركة بينهما حتى تستمر الحياة. والحركة في هذه المجموعة غير متروكة على حريتها بل هي مدروسة، وموجهة نحو الكمال. ومع أن هذه المجموعة تأتي من تكرار الكثير من المتجاورات[٢]، لكن في الداخل تمضي نحو التكامل والتكوين من مستلزمات سلسلة التوازن وجود أزمة توازن في الوجود، والحركة من مرتبة إلى مرتبة أخرى، وهذه المرتبة يمكن أن تكون أعلى أو أدنى من مرتبتها السابقة ولما كان شرط عالم التكوين هو النمو والارتقاء والتكوين والتكامل لذا فإن الحركة ينبغي أن تترافق مع ارتقاء المراتب كي يتمكن العالم من الحركة في المدار المناسب له[٣].

كيف تتجلّي الحركة في أزواج العمارة

لعل ظهور الحركة في جميع مظاهر النظم الثنائية أمر قابل للمشاهدة والإدراك.

– الأزواج المتناقضة: وهي مظهر الحركة الأكثر لمساً وحساً، وذلك لأنه من مستلزمات استقرار الأزواج قرب بعضها البعض هو تحركها وتقابلها، كالليل والنهار والظاهر والباطن.

– الأزواج المزدوجة: خلق مولود ثالث في هذا النظام يسير نحو الوحدة، لذا فهو مضطر لمرافقة الحركة ومواكبة ارتقاء المراتب.

– الأزواج المتضادة: اختيار الحد في طرفيّ طيفٍ ما يستلزم مرافقة الحركة والتنقل.

مراتب الحركة الظاهرة والباطنة

الحركة في مراتب المادة والصورة تستلزم مواكبة التغيير وانتقال المادة أو الجسم، لكن هذه الحركة متفاوتة في مراتب المعنى، وهي لا تواجه بالضرورة محدودية في المادة.

– حركة الجسم (الحركة الظاهرة): هذا النوع من الحركة ملموس وقابل للمشاهدة وهو حركة علنية. ولعل الحركة في الفضاء الذي تتمّ من خلال جسم الصورة هي مجلى لهذه القاعدة في العمارة.

– حركة الذهن أو الحركة الإدراكية (الحركة الباطنة): هذا النوع من الحركة لا يتم بالضرورة عبر الجسم، ومظهر ذلك يبدو في الحركة وسير القوى الإدراكية في الفضاء. وجود التوازن المتحركة في العمارة شرط لازم لحركة الذهن في الفضاء، والذي يؤدي إلى خلق ديمومة الفضاء.

٥.٣ الدوام والاستمرار

عندما يفتقد نظام متوازن للارتباط أو التناقض بين أزواج الثنائيات على نحو متصل وممتد، فإن تلك المجموعة تخرج من حالتها الطبيعية ويختلّ توازنها. إذن يمكن القول إن مجموعة ما يمكن أن تحصل على توازن ثابت حينما يسري فيها قانون الاستمرار والديمومه، فالتوازن هو دائماً وباستمرار تجاذبٌ بين قوتين دون أن تطغى إحداهما على الأخرى، بحيث يظل الوضع (التوازنى) هو الأمثل فى كل الحالات. ونجد هذا فى مختلف مظاهر الكون الرحب فلا تطغى قوة أو حركة على أخرى، بل تتجاذبان حتى تصل المحصلة إلى مرحلة مثلى تكون هى مرحلة (التوازن) المنشود.

١.٥.٣ التكرار والتنوع ضرورة للدوام والاستمرار

أما التأمل في قانون الاستمرار في مجموعة متوازنة، يطرح ضرورة أصل التكرار في تلك المجموعة،فالتكرار الموجود فى الكون يكشف لنا عن سر التوازن الكامن فيه. لهذا فان هذا التكرار يعطى معنى آخر او نتيجه أخرى وهى الاتزان لذلک فان هناک ثمه علاقه وثيقه بين التوازن والتكرار لأنّ التكرار إذا اختل عن المنظومه الإلهيه الكامنه قيل اختل واعتل وكشف لنا عن عدم الاستقرار والتوازن وإذا اعتدل نتج عنه الاتزان، لذلک فصلة وثيقة بين الاثنين وإن لم تكن واضحة ومازالت حاجة الناس ماسّة للكشف عن كثير من الحقائق حول الكون والفلك سواء اكانت هذه الحاجة ملحّة او مجرد فضول غريزى فى الانسان. أما التكرار في عالم الوجود فهو لا يعني وجود العناصر بعينها، وذلك لأن هذا الأمر يتحقق في صورة حينما يصاب عالم الوجود وبالتالي العمارة بحالة التوقف والسكون، وانعدام الحركة فيه. لذا فالتكرار في هذا النظام يترافق مع التنوّع، ووجود هذا التنوع هو عامل الحياة وسر الحياة في العمارة.

٢.٥.٣ الأزواج المعمارية في الحركة الاستمرارية

أما أزواج الثنائيات في العمارة، سواء في العلاقات الازدواجية والتضاد أو في العلاقات المتناقضة، فإن ارتباطها أو تقابلها ينبغي أن يستمر، لأنه إذا ما تعرضت هذه السلسلة للحظة ما إلى توقف في الحركة وانقطاع في أسلوب حركتها، فإن المجموعة برمّتها تتعرض لأزمة، وستخرج عجلة الوجود من سكة التوازن. إذاً الاستمرار والديمومة في مظاهر وتجليات العمارة المختلفة هو شرط لازم للتوازن في المراتب المختلفة.

٦.٣ التكامل

والعمارة بصفتها مظهراً لعالم التشريع لا يمكن أن تستغني عن هذا التكامل، وذلك لأن العمارة كي تستطيع تحقيق توازن ثنائي الاتجاه ومستمر مع نظم عالم التكوين، فإنه لابد أن توحّد أهدافها مع تلك النظم وتتناظر معها كلياً.والعمارة في ارتباطها بالإنسان ينبغي أن يكون لها حركة تكاملية، كي تعمل بمثابة الوعاء والحاضن لحياة الإنسان، وتوحيد الخطى مع الإنسان. يقرر «سانت توماس» أن متطلبات الجمال ثلاثة أمور: «التكامل أو الكمال، والتناسب التام، الوضوح» (محمد الحوطى،١٤١٥ق: ١٣٣).

١.٦.٣ تزاوج الثنائيات المعمارية والميل نحو الكمال

عالم المادة هو عالم تكثّر(تعدد وتنوع)، أو بعبارة أخرى عالم الكثرة، والتكامل كان على الدوام مرافقاً للافتراق عن عالم المادة والسير في عالم المعنى، لذا فالارتباط والتزاوج بين الأزواج في المراتب المختلفة يهدف إلى إيصال العمارة إلى مرتبة الكمال.في الدائرة المعمارية يشكل كل واحد من الأجزاء والعناصر المعمارية الواقعة تحت قانون الحدود زوجاً مع الآخر، وهذا الارتباط بين تلك الأجزاء يتمّ من خلال التزاوج بين أجزاء الصورة، الأمر الذي يؤدّي إلى ابتعاد العمارة مرتبة عن التكثر، والتحرك نحو التوحّد.إنّ كون مسار الحركة التكاملية مساراً وتحرّكاً هادفاً لذا فإنه يناسب الهدف الذي ينشده المعمار، وسوف يؤدي إلى تغير فى نوع العلاقات بين الأزواج، ولهذا فإن هناك حدوداً متفاوتة ستترتب على هذه الأزواج.إنّ التأمل

في مصاديق العمارة تشير إلى أن التزاوج بين الأزواج الكمية والكيفية في الفراغ هي جميعاً بهدف تجاوز العمارة لمرتبة التكثر ووصولها إلى وحدة العمل المعماري، الأمر الذي يؤدي إلى الحركة نحو الكمال.

٢.٦.٣ مراتب التكامل في العمارة ومظاهرها المختلفة

لكي تسير العمارة المتوازنة نحو الكمال ينبغي أن تتضمن مظاهرها المختلفة علائم الحركة من الكثرة نحو الوحدة. والحق أن الأجزاء والروابط في المجموعة يجب تعريفها على شكل بحيث ينقل هذه المجموعة تجاه الوحدة والتكامل.فمثلاً هذه الحركة التكاملية في المظاهر المعمارية يمكن مشاهدتها في الظاهر وحتى في الأجزاء التزيينية للبناء. ومن الممكن أن تبدو تلك الظواهر في البداية متكثرة، لكن ذلك التكثر الزماني الهادف والسائر نحو الوحدة، يمكن أن يكون مظهراً مناسباً لذلك التكامل.في مرتبة أرفع يمكن مشاهدة هذه الحركة التكاملية في اقتران الفضاءات المختلفة وانتظامها في طريق الوصول إلى الكمال.في البيوت التقليدية غالباً ما يشكل الفناء الداخلي مكانا مناسباً لارتقاء روح ساكنيه ووضع حركته في مسار الكمال ولا شك في أن جهود المعمار للوصول إلى هذه المرتبة يكون في العمارة.

أصول توازن العمارة

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٤. النّتائج

بناءً على ما مرّ في الحديث عن التّعامل بين النّفس والعمارة الإسلامية نستنتج إلى أنَّ:

– الروح هي معنى الكرامة وتساوي الوجود الإنساني وسلامته، والحاجات الروحية والاجتماعية في الواقع جانبان من جوانب الرّوح في كِلا الفرد والمجتمع، لذلك فإنّ الروح في مسيرها نحو الكمال يهدف إلى تحقيق التوازن، فالتوازن يُعدّ غاية لها.

– فيكون التوازن قانوناً كليّاً في الوجود، فتظهر مظاهره في عالم التكوين والتّشريع.

– التوازن في الهندسة يتناظر وتوازنَ الروح، فالعمارة لا تكون متوازنةً إلا إذا انبثقت من روح متوازنة، فهناک علاقة بين روح المعمار المتوازنة والتوازن الموجود فى فنّه أو فى العمارة.

– نظراً إلى أنّ التّوازن قانون عالميّ فإنّ الأنظمة والقوانين الموجودة لتحقيق هذا التوازن هي عالمية أيضاً، فتكون ساريةً في المجموعات المتوازنة كلّها.

– العمارة كأيّ مجموعة متوازنة لابدّ لها من أصول، فمن أجل الوصول إلى التّوازن فى العمارة يجب أن تكون فيها هذه الأصول الستة حتى تُسمّى متوازنة، وهي:

١: وجود أزواج ثنائية(مترافقة، متضادّة، متناقضة).

٢: مراعاة الحدود بين الأزواج.

٣: وجود علاقة تفاعل أو تعارض أو تناقض بينهما.

٤: الحركة

٥: الاستمرارية

٦: الاكتمال

– إنّ وجود أنواع الأزواج المذكورة أعلاه في الهندسة المعمارية في المستويات الكمية والنوعية والدّلالية، فتؤدّي ملاحظة الحدّ الصّحيح بين هذه الأزواج إلى أن تكون في دورها حتى تصل إلى التّوازن.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الهوامش

١. ثنائية الصورة والمعنى تنتمي في الواقع إلى نوع الثنائيات المزدوجة، لأنه نتيجة الزواج بين هذين الجانبين ستنعكس في جميع الأشياء حيث تصبح جميع الأشياء والأمور مدركة.

٢. يقول صدر المتألهين ملاّ صدراً عن نظام العالم: أنه في خلق مستمر، وفي كل لحظة، يصبح آلاف المرّات وجوداً وعدماً، ولذا فإن إفاضة الله على الوجود جارٍ وسارٍ، ولا شك في أن من مستلزمات هذه الكينونة والعدم وجود الحركة. ويقول في الفصل الحادي عشر؛ قوة وفعل الأسفار: «الحركة والزمان من الامور الضعيفة الوجود التى وجودها يشابک عدمها وفعليتها

مقارن قوتها، وحدوثها عين زوالها؛ فكل جزء منها يستدعى عدم جزو آخر بل هو عدمه بعينه» (مطهرى، ١٤٢٧هـ.: ٢١١).

٣. «فالتوازن» فى المفهوم الإسلامى: لا يلغى الشيئين أو يمزج بينهما مستخلصاً وجوداً ثالثاً ،لأن الإلغاء مصادرة للحركة و للمقاومة ،بل يتعاقب الشيئان على النفس تعاقب اليل والنهار، فى حركة دائبة لا تسكن إلا بشيخوخة النفس وضعفها إلى حد الموت، لأن قوة النفس مرهونة بقدرتها على مقاومة الضعف «فالتوازن» إذاً فى تصورنا الإسلامى إقرار بالضعف وبالقوة فى النفس وبالميل إلى الفجور والتقوى، وبالمثالية والمادية، وبالجبن والشجاعة، ويتجلى جهد الإنسان فى المقاومة التى تعين على ضبط الحركة وتوجيهها بين الشيئين» (محمد الحوطي، ١٤١٥هـ.، ٥٨).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

الذهبي، محمد حسين (١٤٠٨هـ. - ١٩٨٧م). **اثر اقامة الحدود في استقرار المجتمع**، ط٢، بيروت: دار الجهرة.

رائف، فضل الله (١٩٩٩م). **ووضع الميزان، نظرية التوازن**، بيروت: مؤسسة بحسون.

الزحيلي، محمد مصطفى (١٩٩٠م). **الاعتدال في التدين؛ فكرا وسلوكا ومنهجا**، ط١، طرابلس: الجماهير العظمى، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية.

زريق، معروف (١٤٠٨هـ. - ١٩٨٩م). **علم النفس الإسلامي**، ط١، دمشق: دارالمعرفة.

محمد الحوطي، غادة بنت عبد العزيز (١٤١٥هـ. - ١٩٩٥م). **التوازن معيار جمالي (تنظير وتطبيق على الآداب الاجتماعية في البيان النبوي)**، ط١، جدة: الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجه.

مطهرى، مرتضى (١٤٢٧هـ. - ٢٠٠٦م). **العدل الآلهى**، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، ط٤، بيروت: الدار الإسلامية.

--------- (١٩٩٣- ١٩٩٤م). **عدل الهى (العدل الآلهى)**، چ٧، طهران: صدرا.

The Holy Quran

Nahjolbalaghe

Al-Dhahabi, M.H. (1408 AH - 1987 AD). *The Impact of Establishing Frontiers on the Stability of Society*, Beirut, Dar Al-Jahra, second edition. [In Arabic].

Raef, F. (1999 AD). *The Development of the Balance, the Theory of Equilibrium*, Beirut, Bahson Foundation. [In Arabic].

Al-Zahili, M.M. (1990 AD). *Moderation in Religion, Thinking, Conduct and Approach*, Tripoli, the Great Audiences, Publications of the International Islamic Call Society, First Edition. [In Arabic].

Zureik, M. (1408 AH - 1989 AD). *Islamic Psychology*, Damascus, Dar Al Maarif, first edition. [In Arabic].

Muhammad Al-Houti, G.B.A.Al. (1415 AH - 1995 AD*). Balance is an aesthetic criterion (theorizing and application on social etiquette in the prophetic statement*), Jeddah, publisher Abdul-Maqsoud Muhammad Saeed Khoja, first edition. [In Arabic].

Mutahri, M. (1427 AH - 2006 AD). Translated by Muhammad Abd al-Moneim al-Khaqani, *The Divine Justice*, Beirut, The Islamic House, fourth edition. [In Arabic].

Mutahri, M. (1993-1994).*God's Justice (Divine Justice)*, Tehran, Sadra's spread, HaVatm. [In Persian].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

آفاق الحضارة الإسلامیة، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
دوفصل‌نامهٔ علمی (مقالهٔ پژوهشی)، سال بیست‌وچهارم، شمارهٔ اول، بهار و تابستان ۱۴۰۰، ۳۹–۶۸

نظام تعادل معماری و قوانین آن
راه وصول به تعادل در معماری

سمیهٔ أمیدواری *
زینت ریحانی **

چکیده

تعادل به عنوان جوهره تکامل نفس و لازمه حرکت در سیر کمالی انسان می باشد. معماری به عنوان حقیقتی برآمده از دستان هنرمند، باید واجد این تعادل باشد و لذا تعادل به عنوان جوهره معماری در پاسخ به خواسته‌های نفس انسان تعریف می‌شود. این مقاله مبتنی بر روش توصیفی_ تحلیلی و از طریق روش استقرایی مصمم به تحلیل این رابطه است، بنابراین تلاش می کند تا قوانین و نظاماتی که در تعادل نفس موثر است را باز یابد. سؤال پژوهش حاضر این است که قوانین و نظامات تعادل معماری کدام است؟ در بیان قوانین و نظامات تعادل نفس می‌توان به وجود جفت‌های دوتایی، نسبت‌های متفاوت بین آنها (تعامل، تقابل و یا تضاد)، رعایت حد مناسب در این نسبت‌ها، حرکت، استمرار و تکامل اشاره کرد. در معماری نیز به تبع نفس انسان، این تعادل دارای مراتب مختلف بوده است. وجود مراتب تعادل معماری از یک سو و قوانین شش گانه‌ای که مترتب بر هر مجموعه متعادلی بوده است، نشان می‌دهد که معماری در تناظر مستقیم با قوای فهم و ادراک انسان (معمار) می‌تواند واجد مراتب مختلف تعادل باشد. وجود جفت‌های دوتایی، تعاملات و یا تقابلات بین آنها، تعیین حد میان آنها و در ادامه سیر حرکت، تداوم و تکامل باید در همه این مراتب جاری شود تا تحت این نظامات، تعادل در هر مرتبه معماری حاصل آید.

کلیدواژه‌ها: تعادل، معماری، مراتب معماری، نفس.

---

* استادیار معماری دانشگاه علم و هنر یزد، یزد، ایران (نویسنده مسئول)، s.omidvari@sau.ac.ir
** استاد مدعو دانشگاه فرهنگیان، شیراز، ایران، reihani.z44@gmail.com
تاریخ دریافت: ۱۴۰۰/۰۱/۲۵، تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۰۳/۱۷

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose